

فارس الفن الرسالي يلحق بالنجمة القطبية إلى البعيد

رابع درياسة

أيقونة الأغنية الجزائرية



● درياسة يعتبر سفيرا حقيقيا للأغنية الجزائرية إلى العالم العربي، قدم روائعه في الأسابيع الثقافية في مختلف العواصم



● بصمته الواضحة على الأغنية تميز ما بين مختلف الأنماط الشعبية من البدوي والعلوي إلى الصحراوي

حروف من ذهب في صرح الموسيقى الجزائرية، خصوصا في سنوات 1970 - 1980، حتى أن صيته ذاع في كل الوطن العربي من الشرق الأوسط إلى المحيط.

ووصفه بأنه الشاعر والمحسن والرسام والمغني الذي تميز بفصاحة اللسان وبخامة صوتية تجمع ما بين البدوي الصحراوي وغناء الظهرة، والذي نجح أيضا نجاح في الجمع بينهما ضمن قالب عصري، متناولا بذلك مواضيع عاطفية اجتماعية ووطنية وتحسيسية بمقاربات شعرية خارجة عن المألوف.

عقاب قديم

وأكد الكاتب والوزير والدبلوماسي السابق كمال بوشامة خلال مراسم جناية درياسة أن الجزائر ودعت منارة من منارات الأدب والفن، وأن علاقة الصداقة والمصاهرة التي جمعت به أتاحت له فرصة التعرف عليه عن قرب. وأن الفقيه فنان شامل، ملحن وأديب وشاعر، لن تعرف مثله الساحة الفنية مستقبلا، فهو أول من عرّف العالم العربي بالأغنية الجزائرية الأصيلة وحبيبهم فيها.

وتجمع الشهادات التي أدلى بها فاعلون في الشأن الفني والثقافي الجزائري بأن فقيه الفن الرسالي الراقي بالجزائر، رحل وفي حلقة غصة مما لحقه من تهمة إقصاء مبرمج من طرف تيار لا يروقه تسويق الأغنية الجزائرية الأصيلة إلى الحاضنة القومية العربية للجزائر، كما كانت أغانيه التي أداها في مناسبات عدة خلال سبعينات القرن الماضي بمثابة العقاب له لأنها تترجم توجهها سياسيا

لكن الذي يؤرق هؤلاء أن درياسة الذي رحل عن عالم الأحياء لا يستطيع أحد ملء فراغه على الأقل في الوقت الراهن، فقد استطاع ترجمة أفراح الجزائريين ووجدتهم والتغني بهم وبأصناد الوطن، في الروائع التي أداها وسلمها للأجيال كي تردها في الجزائر وفي المغرب العربي، وحتى ابنه عبدو لم يستطيع تعويض لمسة والده، فقد يكون الله قد وهبه صوتا شبيها، لكنه لا يملك تلك الجينات المكتسية التي جمعت بين تذوق ونظم الكلمة والقصيدة والنأي وحتى الأنامل والريشة التي اكتسبها الوالد الراحل.

محظوظة بلقاء الراحل الكبير سنة 2017 في مناسبة نظمها الديوان الوطني لحماية حقوق المؤلف لمحاربة قرصنة الأعمال الإبداعية. وأذكر أنه كان عاتبا على الدولة وعلى السلطات الثقافية، ويشعر بمرارة بسبب الإهمال الذي عانى منه منذ انسحابه من الساحة الفنية. كنا معظم وقت الاحتفالية معا، كان أنيقا عاداته، مكابرا، مدركا لمقامه، رفض الإدلاء بأي تصريح، رحمه الله وجعل ما قدمه لوطنه ولأمته في ميزان حسناته.

أما الكاتب والإعلامي إجميدة العياشي فقد كشف في تدوينة له هو الآخر أن درياسة في نهاية السبعينات، تمت محاربته واختزاله في أنه كان بوقا لهواري يومدين، وأغلق في وجهه التلفزيون والإذاعة، مما جعله ينسحب من الساحة الفنية ويتفرغ للرسم والمنمنمات.

وألمح العياشي إلى أن درياسة سرد له كيف حوّر آنذاك، وكيف اضطر إلى أن يخفي ويصمت لفترة طويلة، وأكد في منشوره على أنه شكل تيارا تجديديا داخل مشهد الأغنية الجزائرية التي زاوجت بين التراث والعصرية، وجعل منها فن العائلة الجزائرية

وتعبيرا عن جانب من جوانب الجمالية الجزائرية الفنية ما بعد الكولونيالية، سواء على صعيد الخطاب الشعري أو الموسيقي. أما سليم دابة فقد كتب أيضا "بعد محمد العماري وإيدير، تغادرن أيقونة أخرى من أيقونات الغناء في الجزائر، وفي الوطن العربي، وكيف لا درياسة سجل اسمه من

برنامج الشهير «ديوان الألمان» حظي بسمعة طيبة وشهرة فائقة، فقد جمع فيه عددا من الفنانين البارزين آنذاك على غرار الفنانة القديرة سلوى المطربة ثلجة ومريم وفاء والفنان الفكاهي جعفر بك بمعية قائد الجوق والفرقة الموسيقية الفنان المبدع معطي بشير

عمره 60 عاما لخدمة الفن والأغنية الجزائرية، فرغم أنه كبر يتيم الوالدين، وهو الذي فقد أمه في سن 12 ووالده في سن 15، فقد تحمل مسؤولية العائلة وبقي وفيا لمواهبه وميولاته الفنية.

وهو ما برز من خلال بصمته على الأغنية الشعبية التي طبعها بطابعه الخاص، بعدما مزج بين مختلف الأنماط الشعبية من البدوي والعلوي والصحراوي وغيرها، فكان النجاح حليفه، حيث تهافت الجمهور على اقتناء الأسطوانات الصادرة تباعا، خاصة وأن الجمهور اكتشف توجهها جمع بين الأصالة والمعاصرة، وحافظ على الكلمات الراقية والرسالية، فتصدر بذلك لأحة فنانين زمانه.

وبعد الاستقلال واصل درياسة مسيرته الفنية مستندا إلى شعبيته الكبيرة، خاصة بعدما تناول موضوعات وطنية واجتماعية لأعماله الفنية، فكان بذلك واحدا من المؤلفين والملحنين الواعدين، حيث منح لقب سفير الأغنية الجزائرية، وكان ممثلا في عدة محافل عربية في العراق ومصر وسوريا والكويت والعربية السعودية والإمارات العربية المتحدة ولبنان فضلا عن بلدان المغرب العربي، وفي سنة 1975 وجه له مدير مسرح الأولمبيا دعوة ليكون على رأس قائمة الحفلات الخاصة بنجوم العالم العربي والمبرجة لأول مرة.

وكان رحيل درياسة مؤثرا ومؤلا لنخب جزائرية من مختلف التوجهات، فكتبت الروائية أحلام مستغانمي تدوينة في حسابها الرسمي على فيسبوك قالت فيها "غادرننا أسطورة الفن الجزائري الفنان رابع درياسة المبدع الشامل، شاعر ومغن ومؤلف موسيقي، آخر عمالقة الزمن الجزائري الجميل، الذي ساهم في تشكيل وجداننا القومي بعد الاستقلال، بما قدم من أغان سعى من خلالها لتقوية اللحمة الوطنية بين مختلف المناطق في الجزائر ومحاربة الجهوية".

وأضافت مستغانمي "كنت

فبدا منذ ريعان شبابه في نظم الأشعار وتلحينها ليغنيها في ما بعد مطربون كبار على غرار صايم لخضر، عبد الوهاب سليم، بلاوي الهواري ونورة قروابي.

ابتدا مسيرته الفنية بالتوجه نحو أداء الأغنية البدوية الصحراوية، على ما تتطلبه من قدرات صوتية عالية وامكانيات فنية معتبرة، فأدى أطول القصائد والأشعار، كما هو الشأن بالنسبة إلى رائعة "جيزنة"، التي تروي قصة حب بدوية خلال منتصف القرن التاسع عشر بين جيزية وسعيد، وخلدها الشاعر الشعبي محمد بن قيطون بقصيدة طويلة كان الفنان الراحل أحد الذين غنوها.

وتذكر بعض الروايات بأن العام 1953 كان محطة مفصلية في حياة درياسة الفنية، فمشاركته في برنامج "من كل فن شوي" الإذاعي للفنان محمد الحبيب حشلاف، فتحت له الطريق واسعا للتعبير عن قدراته الفنية وللشهرة، ومنذ ذلك التاريخ لم ينقطع عن إنتاج أعمال فنية له ولغيره من الفنانين الذين عرفوا النجاح عبر كل الجزائر.

وفي سبعينات القرن الماضي برز برنامجه الشهير "ديوان الألمان" الذي نال سمعة طيبة وشهرة فائقة، فقد جمع عددا من الفنانين البارزين آنذاك، على غرار الفنانة القديرة سلوى المطربة ثلجة ومريم وفاء والفنان الفكاهي جعفر بك، بمعية قائد الجوق والفرقة الموسيقية الفنان المبدع معطي بشير، كما كان منشطا لبرنامج "الحن وشباب" الذي تخرج منه عدد كبير من فنانين الجزائر.

صاحب ألف لحن

الحائنه وكلمات أشعاره التي مجدت الأخلاق والتضامن والمديح النبوي والغزل العفيف مع حب الوطن، كانت السر في نجاح أعماله التي جاوزت ألف عنوان ومن روائعه "حزب الثوار" و"الحوتة" و"نجمة قطبية" و"فرحة الحجاج" و"وردة بيضاء" و"يا الخمرية" و"حباو ولاد بلادي" و"أنا جزائري" إضافة إلى "جايوها جايوها".

كان درياسة من الفنانين المدافعين عن التراث الشعبي الجزائري، فأعاد الحياة إلى كنوز ثمينة من هذا الأدب ومنها "راس بنادم" و"الموودة" للشيخ سيدي لخضر بن خلو، و"قمر الليل" لعبدالله بن كريبو و"راشدة" لعبدالقادر المغربي. وبذلك كان سفيرا حقيقيا للأغنية الجزائرية، خاصة في العالم العربي، حيث أدى العديد من روائعه في الأسابيع الثقافية لبلاده في مختلف العواصم. رحل درياسة بعد أن كرس من



صابر بليدي
صحافي جزائري

فقدت الجزائر برحيل الفنان رابع درياسة قبل أيام واحدا من القامات الكبرى في الموسيقى الراقية والرسالية التي باتت عملة نادرة في زمن اختلطت فيه المعايير الفنية والتذوقية، لكن قيمة الرجل المخضرم هي التي أكسبته احترام جميع الأجيال الجزائرية والمغربية، ولا زالت بعض أغانيه والحائنه تتردد بدون مناسف ولا منازع، خاصة تلك التي تحتفي بالوحدة الوطنية والشعبية وتعبر عن الأفراح، كالتوقيع في شهادة البكالوريا أو انتصارات منتخب كرة القدم.

عاش الفنان الراحل لوطنه ولشعبه، فغنى للحب وردد قصائد العشق العفيف وللجمال، كما غنى للفلاح وللناجحين في شهادة البكالوريا ولانتصارات منتخب كرة القدم والوحدة الوطنية والشعبية، وللحجاج وللحيرة، فكان يقاسم وطنه وشعبه أفراده وأحزانه، وصعد بصوته الشجي في مسارح وصالات عربية، أمام قادة عرب، فكان بذلك سفير الأغنية الجزائرية في العالم العربي، لأنه من بين الفنانين القلائل الذين غنوا باللغة الفصحى أو المهذبة التي تفهم من المحيط إلى الخليج.

زخرفه الزجاج والنأي

ولد درياسة في العام 1934 ببلدة الروابح بمحافظة عين الدفلى قبل أن يستقر مقام العائلة في مدينة البليدة، وكانت بداية مسيرته الفنية والمهنية بممارسة حرفة الزخرفة على الزجاج، وهي الهواية التي مارسها لمدة 15 سنة، وقد لاقت أعماله إعجاب نقاد الفن آنذاك ما أهله للمشاركة في عدة معارض بالجزائر وفرنسا ابتداء من عام 1952، فكان حاضرا بأعماله في معارض العاصمة والبليدة وباريس وميتر، وفاز بجائزة "جول فيري" في صالون الفنانين الجزائريين والمستشرقين في فرنسا. ورغم حبه للزخرفة وفن المنمنمات، لم يكن ليستغني عن ميوله الشعرية،

درياسة ورغم حبه للزخرفة وفن المنمنمات، لم يكن ليستغني عن ميوله الشعرية، فبدأ منذ ريعان شبابه في نظم الأشعار وتلحينها ليغنيها في ما بعد مطربون كبار على غرار صايم لخضر، عبد الوهاب سليم، بلاوي الهواري ونورة قروابي